

آراء من العلماء حول نشأة القراءات

د. حميد رضا مستفيد

ملخص البحث

المعروف والمشهور بين العلماء المسلمين أن منشأ القراءات القرآنية كلها - مثل القرآن نفسه - هو الوحي. أي كل واحدة من هذه القراءات نازلة من عند الله. لكن يستفاد من بعض الأقوال المنقولة من بعض العلماء القدامى تصريحاً أو تلويحاً أن هناك اتجاهات أخرى في تبين منشأ القراءات وأن هذه القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة أو العشرة ليست كلها نازلة من عند الله بل بعضها لم يثبت أو بعضها خطأ لا يجوز القراءة به وإن كانت من السبعة أو العشرة.

تحاول هذه المقالة أن تبين هذا الاتجاه الثاني من خلال الاستشهاد بأقوال الكبار من العلماء. وأن جذور الاتجاه الذي ينسب إلى المستشرقين أمثال جولدزيهر من أن القراءات ليست من عند الله قد كانت موجودة لدى بعض العلماء القدامى من علماء القراءات والمفسرين والنحويين بقرون كثيرة قبل ظهور حركة الاستشراق.

ثم تحاول أيضاً أن يستشف من مطاوي أقوالهم أن من العوامل التي تسببت في نشوء بعض القراءات - لا كلها - عند بعض العلماء القدامى، خط المصحف الشريف، في حين تصدى أكثر العلماء لهذا الرأي وفندوه ورفضوه.

المقدمة

لا يخفى أن القرآن الكريم ذو أهمية بالغة عند المسلمين بمختلف طوائفهم ومذاهبهم. ومما يرتبط بالقرآن الكريم مسألة تاريخ القرآن عموماً والقراءات القرآنية ونشأتها خصوصاً. فقد كانت - ولا تزال - الشغل الشاغل لكثير من المسلمين وعلمائهم فتناولوه بالبحث والتحقيق منذ وقت مبكر.

وقد لفت هذا البحث أنظار غير المسلمين من المستشرقين أيضاً فدخلوا هذا المضمار فألفوا في تاريخ القرآن والقراءات وأبدوا من الآراء ما لم يرتضه كثير من العلماء المسلمين. وقد سلك المستشرقون في بحوثهم مسلكاً ثنائياً. فعندما بحثوا في تاريخ القرآن استندوا إلى

ما رواه المسلمون في كتب التاريخ والقراءات وعلوم القرآن. وعندما وصلوا إلى مسألة القراءات لم يعيروا اهتماما لما ورد في كتب القراءات وتاريخ القرآن من روايات بهذا الشأن ودرسوا مسألة قراءة النص القرآني كأنه نص أثري تاريخي فحسب. وعالجوها بنفس الأساليب التي يعالجون بها قراءة أي نص تاريخي وأثري آخر فآل بهم الأمر إلى أن يقولوا: إن القراءات القرآنية نشأت من طبيعة الخط العربي في القرون الأولى.

ومن جانب آخر نرى العلماء المسلمين في القرون المتأخرة وخصوصا المحدثين منهم يعتبرون القراءات كلها صحيحة نازلة من عند الله ولا يقبلون من أحد قولاً ينال من قدسية القراءات ويخطفون القائل مهما كانت مكانته العلمية.

وهناك أسلوب ثالث نجده عند القدماء من علماء القراءات والمفسرين والنحاة، فإنهم وإن اعتبروا القراءات روايات مرفوعة من القراء إلى النبي صلى الله عليه وآله إلا أنهم لم ينكروا أن يكون هناك أخطاء من بعض القراء والرواة وإن كانوا من السبعة أو العشرة. فليس كل ما روي عن الأئمة العشرة صحيحة أو متواترة عند هؤلاء.

البحث

المعروف والمشهور بين العلماء المسلمين أن منشأ القراءات القرآنية كلها – مثل القرآن نفسه – هو الوحي. أي كل واحدة من هذه القراءات نازلة من عند الله. قال ابن الجزري:

«وكل ما صح عن النبي صلى الله عليه و سلم من ذلك فقد وجب قبوله و لم يسع أحدا من الأمة ردُّه و لزم الإيمان به و أنّ كلّ منزلٌ من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها و اتباع ما تضمنته من المعنى علما و عملا، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض»^١.

وقال في موضع آخر: «... فإن النبي صلى الله عليه و سلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة... فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن و ما علموه استقر في العرصة الأخيرة و ما تحققوا صحته عن النبي صلى الله

١. ابن الجزري؛ النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٥١؛ وانظر أيضا: الزرقاني؛ مناهل العرفان ج ١ ص ١٧٩

عليه و سلم مما لم ينسخ، و إن لم تكن داخلة في العرصة الأخيرة؛ و لذلك اختلفت المصاحف بعض اختلاف إذ لو كانت العرصة الأخيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة ونقص وغير ذلك وتركوا ما سوى ذلك»^٢.

هذا هو رأي الجمهور من أهل السنة.

وحديث سبعة أحرف - على القول بأن المراد به القراءات - مؤيد لهذا الرأي أيضا.

ونتيجة هذا:

١- أن كل واحد من هذه القراءات قرآنٌ. أي إذا كانت لآية واحدة قراءتان فكل واحدة منهما تُعدّ قرآنا نازلا من عند الله، مثل "ملك يوم الدين" و "مالك يوم الدين" (الفاتحة: ٤)؛^٣ وإذا كانت لآية واحدة ثلاث قراءات فكل واحدة منها تُعدّ من القرآن، مثل "وهم من فرج يومئذ آمنون" و "وهم من فرج يومئذ آمنون" (النمل: ٨٩)؛^٤ وإذا كانت لآية واحدة أربع قراءات فكل واحدة منها تُعتبر قرآنا، مثل "بشرًا بين يدي رحمته" و "نُشرًا بين يدي رحمته" و "نُشرًا بين يدي رحمته" و "نُشرًا بين يدي رحمته" (الأعراف: ٥٧)؛^٥ وإذا كانت لآية واحدة خمس قراءات فكل واحدة منها تُعتبر قرآنا، مثل "هيت لك" و "هيت لك" و "هيت لك" و "هيت لك" و "هيت لك" (يوسف: ٢٣).^٦

٢. ابن الجزري؛ النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣٢.

٣. قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره بإثبات ألف بعد الميم لفظا والباقون بحذفها. (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ١٦).

٤. " فرج يومئذ " قرأ الكوفيون بتنوين فرج، وغيرهم بترك التنوين، وكسر ميم يومئذ المكّي والبصريان والشامي، وفتحها غيرهم، وإذا نظرنا إلى الكلمتين مجتمعتين يكون فيهما ثلاث قراءات حذف تنوين فرج، وفتح ميم يومئذ للمدنيين، وحذف التنوين مع كسر الميم للمكّي والبصريين والشامي. والتنوين مع الفتح للكوفيين. (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٦٢).

٥. " بشرًا " قرأ المدنيان والمكّي والبصريان بالنون المضمومة مع ضم الشين. وقرأ الشامي بالنون المضمومة مع سكون الشين، والأخوان وخلف بالنون المفتوحة وسكون الشين وعاصم وحده بالباء الموحدة المضمومة مع سكون الشين. (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ١٣٢).

٦. " هيت لك " قرأ المدنيان وابن ذكوان بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها وفتح التاء، وقرأ هشام بكسر الهاء وهمة ساكنة بعدها مع فتح التاء. وذكر الشاطبي الخلاف له في ضم التاء خروج عن طريقه فلا يقرأ له من طرق الحرز والتيسير إلا بفتح التاء، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وياء ساكنة لينة بعدها مع ضم التاء، وقرأ الباقر مثله إلا أنهم يفتحون التاء. (البدور الزاهرة ص ١٨٠).

٢- أن القرآن الكريم نزل أكثر من مرة أو الآيات التي فيها أكثر من قراءة واحدة تعدد نزولها بعدد القراءات التي فيها. فمثلاً أنزل الله سبحانه الآية الـ٤ من سورة الحمد مرتين، مرة ملك يوم الدين و مرة أخرى مالك يوم الدين. وأنزل الآية الـ٨٩ من سورة النمل ثلاث مرات، مرة "وهم من فزع يومئذ آمنون" و مرة أخرى "وهم من فزع يومئذ آمنون" و الثالثة "وهم من فزع يومئذ آمنون" وهلم جرا.

ويؤيده قول ابن الجزري المذكور أعلاها ورواية أبي ظبيان الآتية. قال العسقلاني:

«وأخرج النسائي من طريق أبي ظبيان قال: قال لي ابن عباس: أيّ القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد - يعني عبد الله بن مسعود - قال: بل هي الأخيرة».^٧

هذا، ولكن يستفاد من آراء آخرين من العلماء والمحققين أن هذه القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة أو العشرة ليست كلها نازلة من عند الله بل بعضها لم يثبت أو بعضها خطأ لا يجوز القراءة به؛ وفيما يلي نذكر نماذج قليلة من كلمات بعض العلماء في ذلك.

الطبري (م ٣١٠ هـ):

١. قرئ قوله تعالى «ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون» (البقرة: ١٠) يكذبون بفتح الياء و سكون الكاف و كسر الذال من الكذب و بضم الياء و فتح الكاف وتشديد الذال من التكذيب. وقد خطأ الطبري قراءة التشديد بقوله:

«و كأن الذين قرءوا ذلك بتشديد الذال و ضم الياء رأوا أن الله جل ثناؤه إنما أوجب للمنافقين العذاب الأليم بتكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه و سلم و بما جاء به،... و ليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالوا...، فهذا مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا،... الصحيح من القراءة في سورة البقرة: بما كانوا يكذبون بمعنى الكذب، و أن الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب حق، لا على التكذيب».^٨

٧. العسقلاني؛ فضائل القرآن ص ٩٧

٨. جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص: ٩٦

٢. قرئ قوله تعالى « وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا » (البقرة: ١٢٦) بتشديد التاء من التمتع و بتخفيفه من الإمتاع. قال الداني: « ابن عامر: فأمتعته مخففا والباقون مشددا »^٩. واعتبر الطبري قراءة التشديد صوابا و معنى ذلك أن قراءة التخفيف خطأ عنده. قال: «والصواب من القراءة عندنا و التأويل ما قاله أبي بن كعب وقراءته فأمتعته بتشديد التاء و رفع العين، لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك، و شذوذ ما خالفه من القراءة.»^{١٠}

٣. قرئ قوله تعالى: « أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ » (البقرة: ١٢٠): بالخطاب والغيبة واختار الطبري «أَمْ تَقُولُونَ» بالتاء واعتبر قراءة الغيبة خطأ فقال: «قال أبو جعفر^{١١}: في قراءة ذلك وجهان؛ أحدهما: أَمْ تَقُولُونَ بالتاء، ... و الوجه الآخر منهما أم يقولون بالياء ... و الصواب من القراءة عندنا في ذلك: أَمْ تَقُولُونَ بالتاء دون الياء عطفا على قوله: قُلْ أَمْ تُحَاجُّونَنَا»^{١٢} وأما القراءة التي رفضها الطبري فهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ورواية شعبة عن عاصم. قال الداني: «حفص وابن عامر وحمزة والكسائي: أم تقولون، بالتاء والباقون بالياء.»^{١٣}

٤. اختلف القراء في قوله تعالى «وَالْيَسَعَ» (الأنعام: ٨٦) فقرأه حمزة والكسائي «وَالْيَسَعَ» وقرأها الباقون «وَالْيَسَعُ». قال الداني: «حمزة والكسائي: «وَالْيَسَعَ» هنا وفي صاد بلام مشددة وإسكان الياء والباقون بلام واحدة ساكنة وفتح الياء.»^{١٤} وأما الطبري فقد رفض قراءة حمزة والكسائي قائلا:

٩. التيسير في القراءات السبع، ص ٦٥

١٠. جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤٢٧.

١١. يعني بأبي جعفر نفسه أي الطبري.

١٢. جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤٤٦.

١٣. التيسير في القراءات السبع، ص ٦٥

١٤. التيسير في القراءات السبع، ص ٨٦

«وقرأ ذلك جماعة من قَرَأة الكوفيين: «وَاللَّيْسَعُ» بلامين، وبالتشديد، وقالوا: إذا قرئ كذلك، كان أشبه بأسماء العجم، وأنكروا التخفيف. وقالوا: لا نعرف في كلام العرب اسمًا على "يفعل" فيه ألف ولام.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة، لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه، دون التشديد».^{١٥}

٥. قرأ الكسائي «نَعَم» في كل القرآن بكسر العين: قال الطبرسي: «قال الكسائي: وحده نعم بكسر العين كل القرآن». ^{١٦} وقد غلّط الطبري هذه القراءة بقوله:

«و روي عن بعض الكوفيين أنه قرأ: "قالوا نَعِم" [الأعراف: ٢٤] بكسر العين، قال أبو جعفر: و الصواب من القراءة عندنا: نَعَم بفتح العين، لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار و اللغة المشهورة في العرب».^{١٧}

٦. قرأ عاصم وحده قوله تعالى: «يُضَاهِئُونَ قول الذين كفروا من قبل» (التوبة: ٣٠) بالهمز والباقون بترك الهمز: يضاهاون. قال الطبري:

«و اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز و العراق: "يضاهاون" بغير همز. و قرأه عاصم: يُضَاهِئُونَ بالهمز، وهي لغة لثقيف. و هما لغتان»^{١٨} ثم خطأ قراءة عاصم بقوله: «قال أبو جعفر: و الصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز، لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار و اللغة الفصحى»^{١٩}

٧. قرئ باء «يعقوب» في قوله تعالى: «فَبَشِّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِن وِراءِ إِسْحاقَ يَعْقوبَ» (هود: ٧١): بالضمة على أنه مرفوع مبتدأ مؤخر، وبالفتحة على أنه معطوف على محل «بإسحاق» منصوب بفعل آخر يُفْهَم من السياق مثل «وهب». والمعنى: ووهبناها يعقوب من وراء إسحاق. وهناك وجه آخر لتوجيه فتحة الباء في «يعقوب» وهو أنه معطوف على «إسحاق» أي وبشرناها مِن وِراءِ إِسْحاقَ بيعقوب أيضا.

١٥. جامع البيان: ج ٧ ص ١٧٣.

١٦. مجمع البيان في علوم القرآن ج ٤ ص ٦٤٩

١٧. جامع البيان في تفسير القرآن ج ٨ ص ١٣٥.

١٨. جامع البيان في تفسير القرآن ج ١٠ ص ٨٠.

١٩. نفس المصدر.

وهناك خلاف بين النحويين في جواز الفصل بين العاطف أي الواو و بين المعطوف وهو هنا «يعقوب».

قال العكبري: « و يقرأ بفتح الباء، و فيه وجهان: أحدهما- أنّ الفتحة هنا للتّصّب، و فيه وجهان: أحدهما: هو معطوف على موضع «بإسحاق». و الثاني: هو منصوب بفعل محذوف دلّ عليه الكلام، تقديره: و وهبنا له من وراء إسحاق يعقوب. و الوجه الثاني- أنّ الفتحة للجر، و هو معطوف على لفظ إسحاق؛ أي فبشّرناها بإسحاق و بيعقوب وني وجهي العطف قد فصل بين يعقوب و بين الواو العاطفة بالظرف، و هو ضعيف عند قوم»^{٢٠}

وقال الطبري: «وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم. وقالوا: خطأ أن يقال: "مررت بعمرو في الدار وفي الدار زيد" وأنت عاطف ب"زيد" على "عمرو"، إلا بتكرير الباء وإعادتها، فإن لم تُعد كان وجه الكلام عندهم الرفع، وجاز النصب، فإن قُدم الاسم على الصفة جاز حينئذ الخفض»^{٢١}.

ثم اختار الطبري قراءة الرفع و لم يرتض القراءة بفتحة الباء: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه [أي يعقوب] رفعا، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، و الذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية، و ما عليه قراءة الأمصار. فأما النصب فيه فإن له وجهها، غير أني لا أحب القراءة به، لأن كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب»^{٢٢}.

٨. في قوله تعالى: «فنجي من نشاء» (يوسف: ١١٠) قراءتان: إحداهما: «فُنْجِي» بنون واحدة وتشديد الجيم مبني للمفعول من التنجية والأخرى «فُنْجِي» بنونين مبني للفاعل من الإنجاء. قال القاضي: «فنجي: قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وبعدها جيم مشددة وبعده الجيم ياء مفتوحة. والباقون بنونين: الأولى مضمومة والثانية ساكنة وبعده الثانية جيم مخففة، وبعده الجيم ياء ساكنة مديّة»^{٢٣}. وأما الرسم فبنون واحدة. والصحيح عند الطبري قراءة هذه الكلمة بنونين:

٢٠. التبيان في إعراب القرآن ج ١ ص ٢٠٤

٢١. جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٤٦

٢٢. نفس المصدر.

٢٣. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة؛ ص ١٦٨.

«والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه: " فننجي من نشاء " بنونين، لأن ذلك هو القراءة التي عليها القُرْأَةُ في الأمصار، و ما خالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه التي ذكرناها فمفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القُرْأَةِ، و غير جائز خلاف ما كان مستفيضا بالقراءة في قراءة الأمصار. و تأويل الكلام: فننجي الرسل و من نشاء من عبادنا المؤمنين إذا جاء نصرنا».^{٢٤}

٩. وقال أيضا في قوله تعالى «لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ» (الرحمن: ٧٢):
«يقول تعالى ذكره: لم يمسهن بنكاح فيدميهن إنس قبلهم و لا جان. و قرأت قراءة الأمصار لَمْ يَطْمِئْتُنَّ بكسر الميم في هذا الموضع و في الذي قبله. و كان الكسائي يكسر إحداهما، و يضم الأخرى. و الصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار لأنها اللغة الفصيحة، و الكلام المشهور من كلام العرب».^{٢٥}

١٠. وقرئ «انظرونا» في قوله تعالى «انظرونا نقتبس من نوركم» (الحديد: ١٣):
بوصل الهمزة من النظر بمعنى الانتظار وقطعها مع الفتح من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال؛ قال تعالى: « قال رب فأَنْظِرْني إلى يوم يبعثون» (الحجر: ٣٦؛ ص: ٧٩)؛ أي أَخْرِي وأمهلي.

وصحح الطبري القراءة بوصل الهمزة وخطأ الثاني فقال:

«واختلفت القراء في قراءة قوله: انظرونا فقرأت ذلك عامة قراء المدينة و البصرة و بعض أهل الكوفة انظرونا موصولة بمعنى انتظرونا، و قرأته عامة قراء الكوفة" انظرونا" مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى: أخرونا... والصواب من القراءة في ذلك عندي الوصل، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب إذا أريد به انتظرنا، و ليس للتأخير في هذا الموضع معنى، فيقال: انظرونا، بفتح الألف و همزها»^{٢٦}.

٢٤. جامع البيان: ج ١٣ ص ٥٩.

٢٥. جامع البيان: ج ٢٧ ص ٩٤.

٢٦. جامع البيان: ج ٢٧ ص ١٢٩.

ابن مجاهد (م ٣٢٤هـ):

١- قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر قوله تعالى «أرجه وأخاه» [الأعراف: ١١١؛ الشعراء: ٣٦] بالهمزة الساكنة بعد الجيم وبعدها هاء مكسورة.^{٢٧} وغلطه ابن مجاهد بقوله:
"قال أبو بكر^{٢٨}: هَذَا غَلَطٌ لَا يَجُوزُ كَسْرُ الْهَاءِ مَعَ الْهَمْزِ."^{٢٩}

٢- الهاء في قوله تعالى «اقتده» [الأنعام: ٩٠] هاء السكت؛ فتكون ساكنة وقفا ووصلاً وقد تحذف وصلاً ولكن قرأ هشام عن ابن عامر بإثباتها مكسورة من غير إشباع وصلاً، وإثباتها ساكنة وقفاً. وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بإثباتها مكسورة مع الإشباع وصلاً.^{٣٠} وغلطه ابن مجاهد بقوله:

"وَهَذَا غَلَطٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْهَاءَ هَاءٌ وَقَفٌ لَا تُعْرَبُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَإِنَّمَا تَدْخُلُ لِتَبِينِ بَهَا حَرَكَةٌ مَا قَبْلَهَا."^{٣١}

٣- قرأ قبيل كلمة «سبأ» [النمل: ٢٢؛ سبأ: ١٥] بسكون الهمزة واعتبره ابن مجاهد خطأً فقال: "وقرأت على قبيل عن النبال «من سبأ نبياً» ساكنة الهمزة وكذلك في قوله «لسبأ في مسكنهم» وهكذا الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد عن شبلى عن ابن كثير. وهو وهم^{٣٢} والصواب رواية البزى «من سبأ» مفتوحة الهمزة مثل أبي عمرو وكذلك «لسبأ» في سورة سبأ.^{٣٣}

٢٧- راجع البدور الزاهرة ص ١٢١ و ٢٣٠

٢٨- يعني ابن مجاهد

٢٩- السبعة ص ٢١٠

٣٠- راجع البدور الزاهرة ص ١٠٦

٣١- السبعة ص ٢٦٢

٣٢- بفتح الهاء أي غلط؛ قال ابن الأثير في النهاية: «وهم يؤهم وهماء، بالتحريك، إذا غلط؛» وقال الفيومي في المصباح: «وهم في الحِسَابِ يُوْهَمُ وَهَمًا مِثْلُ غَلِطَ يَغْلُطُ غَلْطًا وَزَنًا وَمَعْنَى».

٣٣- السبعة ص ٤٨٠

٤- وخطأً أيضاً قراءة ابن كثير «بضئاء» [القصص: ٧١] بـهمزتين،
 ٥- وقرائته «أن رآه استغنى» [العلق: ٧] بغير ألف بعد الهمزة، فقال:
 قرأ ابن كثير وحده: «بضئاء» بـهمزتين [القصص: ٧١] كذا قرأت على قنبل وهو غلط^{٣٤}
 وقال: قرأ ابن كثير فيما قرأت على قنبل «أن رآه» بغير ألف بعد الهمزة وزن رعه وهو غلط
 لأن «رءاه» مثل «رعاه» ممالا وغير ممال^{٣٥}.

طاهر بن غلبون (م ٣٩٩هـ) شيخ أبي عمرو الداني (م ٤٤٤هـ):

من البديهييات في علم القراءات أن المعروف والمعمول به لورش تثليث البدل، لكن أنكر ذلك ابن غلبون فقال: «... وأن نافعا لم يكن يرى إشباع المد في حروف المد واللين الواقعة بعد الهمزة كقوله «آدم» [البقرة: ٣١ و غيرها] و«آخر» [الحجر: ٩٦ و غيرها]» إلى أن قال: «كما يذهب إليه بعض منتحلي قراءة ورش»^{٣٦}.
 وبهذا الكلام يخطئ ما هو المعروف عن ورش من التوسط والإشباع في مد البدل.

العكبري (م ٤١٦هـ):

قال في قوله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» (آل عمران: ٨٥):
 «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْجُمْهُورِ عَلَى إِظْهَارِ الْغَيْنِينِ، وَ رُوِيَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْإِدْغَامِ؛ وَ هُوَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ كَسْرَةَ الْغَيْنِ الْأُولَى تَدَلُّ عَلَى الْيَاءِ الْمَحْذُوفَةِ»^{٣٧}
 وقال في قوله تعالى: «يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ» (التوبة: ٣٠):
 «فَأَمَّا يُضَاهِئُونَ فَالْجُمْهُورَ عَلَى ضَمِّ الْهَاءِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَ الْأَصْلُ ضَاهِيٌّ، وَ الْأَلْفُ مَنْقَلِبَةٌ عَنْ يَاءٍ، وَ حَذَفَتْ مِنْ أَجْلِ الْوَاوِ ... وَ قُرِئَ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَ هَمْزَةٍ مَضْمُومَةٍ بَعْدَهَا؛ وَ هُوَ ضَعِيفٌ»^{٣٨}

٣٤. السبعة ص ٤٩٥

٣٥. السبعة ص ٦٩٢

٣٦. التذكرة في القراءات الثمان ص ١٠٨

٣٧. التبيان في إعراب القرآن ج ١ ص ٨٥

٣٨. التبيان في إعراب القرآن ج ١ ص ١٨٣

أبو شامة المقدسي (م ٥٦٤هـ):

الإمام أبو شامة يعترف بصحة القراءات المنسوبة إلى القراء السبعة، بمعنى أن الصحيح في مرويات الأئمة السبعة أكثر من الصحيح فيما روي عن غيرهم لا بمعنى أن كل ما يروي عن هؤلاء السبعة صحيح لا يسع لأحد رده، بل يعتقد أن من بين هذه القراءات ما هو ضعيف أو شاذ لا تجوز القراءة به ويرى السبب في ذلك قلة ضبط الراوي.

يقول أبو شامة: «ونحن فإن قلنا: إن القراءات الصحيحة إليهم نُسِبَت، وعنهم نُقِلَت، فلسنا ممن يقول: إن جميع ما روي عنهم يكون بهذه الصفة، بل قد روي عنهم ما يطلق عليه أنه ضعيف وشاذ... فلا ينبغي أن يُعْتَرَّ بكل قراءة تُعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة... فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم، فوق ما ينقل عن غيرهم»^{٣٩}.

ثم يُضَعَّف بعض ما روي عن الأئمة السبعة فيقول:

«فمما نسب إليهم وفيه إنكار لأهل اللغة وغيرهم:

الجمع بين الساكنين في تاءات البزّي،^{٤٠}

إدغام أبي عمرو،^{٤١}

وقراءة حمزة "فما اسطاعوا"، [الكهف: ٩٧]^{٤٢}

٣٩. أبو شامة المقدسي؛ المرشد الوجيز ص ١٧٦

٤٠ - كقراءته «ولا تيمموا» (البقرة: ٢٦٧) بتشديد التاء. قال القاضي: «ولا تيمموا: قرأ البزّي وصلاً بتشديد التاء مع المد الطويل لالتقاء الساكنين، وإنما ثبت حرف المد في هذا وأمثاله ولم يحذف على الأصل» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة؛ ص ٦٦).

٤١ - يعني به إما الإدغام الكبير في رواية السوسي وإما إدغام الراء الساكنة في اللام في نحو: «اغفر لي» الذي أنكره الزمخشري أيضاً بقوله: «و قرئ: فيغفر و يعذب، مجزومين عطفاً على جواب الشرط، و مرفوعين على: فهو يغفر و يعذب. فإن قلت:

كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يُظهِرُ الراءَ و يُدْغِمُ الباءَ. و مُدْغِمُ الراءِ في اللام لاحتِّ مَخْطِئِ خَطَا فاحشا. و رواه عن أبي عمرو مَخْطِئِ مَرَّتَيْنِ، لِأَنَّهُ يَلْحَنُ وَ يَنْسِبُ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا يُؤْذِنُ بِجَهْلِ عَظِيمٍ» (الكشاف، في قوله تعالى: فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ البقرة: ٢٨٤)

٤٢ - قال القاضي: «فما اسطاعوا: قرأ حمزة بتشديد الطاء والباقون بتخفيفها» (البدور الزاهرة في القراءات العشر

وتسكين من أسكن "بارئكم" [البقرة: ٥٤] و"يامرؤكم" [البقرة: ٢٦٨، ١٦٩، ٩٣، ٦٧. آل عمران: ٨٠ و النساء ٥٨] ^{٤٣} ونحوه و"سبأ" [النمل: ٢٢؛ سبأ: ١٥] ^{٤٤} و"يا بُنَيَّ" [لقمان: ١٣ و ١٧] ^{٤٥} و"مكر السيئ" [فاطر: ٤٣] ^{٤٦}،
وإشباع الياء في "نرتعي" [يوسف: ١٢] ^{٤٧} و"يتقي ويصبر" [يوسف: ٩٠] ^{٤٨} و"أفئدة من الناس" [إبراهيم: ٣٧] ^{٤٩}

(المتواترة؛ ص ٢١٨).

٤٣ - قرأ أبو عمرو البصري بتسكين الهمزة من قوله تعالى «بارئكم» (البقرة: ٥٤) والراء من قوله تعالى «يامرؤكم» (البقرة: ٢٦٨، ١٦٩، ٩٣، ٦٧. آل عمران: ٨٠ و النساء ٥٨) وله اختلاس حركة الهمزة والراء في رواية الدوري عنه. (انظر: البدور الزاهرة).

٤٤ - قرأ قبيل عن ابن كثير بسكون الهمز من «سبأ». قال القاضي: «من سبأ [النمل: ٢٢]: قرأ البزي والبصري بفتح الهمز من غير تنوين. وقبيل بإسكانها، والباقون بسكرها منونة» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٥٨)؛ و قال أيضا: «لسبأ [سبأ: ١٥] قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين وقبيل بإسكانها والباقون بكسرهما منونة.» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٨٣).

٤٥ - قد تكرر «يا بُنَيَّ» في ثلاثة مواضع في سورة لقمان وقرأ ابن كثير الموضع الأول بإسكان الياء وقرأ قبيل عن ابن كثير الموضع الثالث أيضا بإسكان الياء. قال القاضي: «والخلاصة أن في الموضع الأول وهو «يا بني لا تشرك» ثلاث قراءات، الأولى فتح الياء مشددة لحفص والثانية إسكان الياء مخففة لابن كثير والثالثة كسرهما مشددة للباقيين. وفي الثاني وهو «يا بني إنها» قراءتين، الأولى فتح الياء مشددة لحفص والثانية كسرهما مشددة للباقيين وفي الثالث وهو «يا بني أقم الصلاة» ثلاث قراءات، الأولى فتح الياء مشددة لحفص والبزي والثانية إسكانها مخففة لقبيل والثالثة كسرهما مشددة للباقيين.» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٧٤).

٤٦ - قرأ حمزة «السيء» الأولى من قوله تعالى: «استكباراً في الأرض و مكر السيئ و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين قلن نجد لسنن الله تبديلاً و لن نجد لسنن الله تحويلاً» (فاطر: ٤٣) بإسكان الهمزة. قال القاضي: «ومكر السيئ: قرأ حمزة بإسكان الهمزة وصلا والباقون بكسرهما.» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٨٨).

٤٧ - ذكر الشاطبي أن قبلا قرأ «نرتعي» بالياء وأن لم يكن هذا النقل من طرق الشاطبي. قال العلامة القاضي: «وقرأ ابن كثير بالنون فيهما مع كسر العين من غير ياء. وما ذكره الشاطبي من إثبات الياء لقبيل بخلف عنه خروج عن طريقه وطريق أصله. وطريقه حذف الياء في الحاليين لقبيل» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ١٦١).

٤٨ - إثبات الياء في «يتق» - مع أنه مجزوم فيجب الياء - رواية قبيل عن ابن كثير. قال القاضي: «يتقي: قرأ قبيل بإثبات ياء بعد القاف وصلا ووقفا، والباقون بحذفها كذلك.» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ١٦٦).

٤٩ - قرأ هشام عن ابن عامر أفئدة بياء بعد الهمزة. قال القاضي: «أفئدة: قرأ هشام بخلف عنه بياء ساكنة بعد الهمزة والباقون بغير ياء وهو الوجه الثاني لهشام» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ١٧٤).

وقراءة "ليكة" بفتح الهاء، [الشعراء: ١٧٦؛ ص: ١٣]°٠

وهمز "سأقيها"، [النمل: ٤٤]°١

وخفض "والأرحام"، [النساء: ١]°٢

ونصب "كن فيكون"،°٣

والفصل بين المتضامين في "الأنعام"°٤،

وغير ذلك على ما نقلناه وبيناه بعون الله تعالى وتوفيقه في شرح قصيدة الشيخ الشاطبي رحمه الله.

فكل هذا محمول على قلة ضبط الرواة فيه...°٥.

٥٠ - قد وردت عبارة « أصحاب الأيكة » في القرآن الكريم في أربعة مواضع: الحجر ٧٨، الشعراء ١٧٦، ص ١٣، ق ١٤. وقد رسمت « الأيكة » في « الشعراء » و«ص» هكذا: ليكة. و قد قرأها نافع و أبو جعفر و ابن عامر و ابن كثير بلام مفتوحة، بعدها ياء ساكنة، بعدها كاف مفتوحة فتاء مربوطة مفتوحة. على أن «ليكة» علم على مكان فلم تنصرف. قال القاضي في سورة الشعراء: «أصحاب الأيكة: قرأ المدنيان والمكي والشامي ليكة بلام مفتوحة من غير همز قبلها ولا بعدها ونصب التاء، والباقون بإسكان اللام وهمزة وصل قبلها وهمزة مفتوحة بعدها وجر التاء» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٣٢ و ٢٣٣). وقال في سورة «ص»: «وأصحاب الأيكة: حكمه حكم ما في سورة الشعراء».

٥١ - «ساقياها: قرأ قبل بهمزة ساكنة، وغيره بالألف» (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٢٣٦).

٥٢ - من قوله تعالى: «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» قرأ حمزة - وحده - الأرحام بالجر عطفًا على الضمير المجرور في «به». وعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من دون إعادة الجار مسألة خلافية بين النحاة؛ منعه كثير منهم. حتى منع بعض من العلماء والقراء من القراءة بقراءة حمزة. قال السخاوي: «وقد تكلم قوم في قراءة حمزة. قال هشام بن عمار صاحب ابن عامر: حدثنا جنادة بن محمد، سمعت سفيان بن عيينة يقول: لا تصلوا خلف من يقرأ بقراءة حمزة. وعن أبي بكر بن عيَّاش: قراءة حمزة بدعة. وعن عبد الله بن إدريس أنه لعن من قرأ قراءة حمزة. واعتمد من مال على حمزة، رحمه الله، على هذا. وذكر أن أحمد بن حنبل - رحمه الله - كره قراءة حمزة» (جمال الإقراء وكمال الإقراء ج ٢ ص ٢٥٦). ثم بدأ السخاوي بالرد على المانعين دفاعًا عن حمزة وقراءته؛ (راجع نفس المصدر).

٥٣ - قد وردت عبارة «كن فيكون» ثمانية مرات في القرآن الكريم (هي: البقرة ١١٧؛ آل عمران ٤٧ و ٥٩؛ الأنعام ٧٣؛ النحل ٤٠؛ مريم ٣٥؛ يس ٨٢؛ غافر ٦٨). وقد قرأ العشرة برفع «فيكون» في المواضع الثمانية إلا ابن عامر والكسائي. فقد قرأ ابن عامر بنصب «فيكون» في ستة مواضع؛ هي ما عدا آل عمران ٤٧ والأنعام ٧٣. ووافقه الكسائي في موضعين؛ هما موضعا النحل و يس؛ (راجع كتب التفسير والإعراب كمجمع البيان والبحر المحيط والدر المصون في قوله تعالى: كن فيكون بالبقرة وراجع أيضا كتب القراءات كالبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة في المواضع الثمانية). ولا يجوز نصب «فيكون» لأنه ليس جوابًا للأمر؛ (راجع كتب التفسير والإعراب كمجمع البيان والبحر المحيط والدر المصون في «كن فيكون» بالبقرة).

٥٤ - يعني به الفصل بين كلمة «قتل» - وهي مضافة - وبين «شركائهم» - وهي مضاف إليها - ب «أولادهم» - وهي أجنبية - في قراءة ابن عامر: «وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ» (الأنعام: ١٣٢).

الإمام محمد^{٥٦} بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

يرى الإمام محمد بن علي المعروف بالباقر أن الاختلاف في القراءة ناشئ عن القراء ولا ينسبه إلى الوحي. قال الإمام الباقر: «إِنَّ الْقُرْآنَ وَاحِدٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ وَ لَكِنَّ الْإِخْتِلَافَ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الرُّوَاةِ»^{٥٧}.

إلى هنا تبين أنه يستفاد من كلام بعض العلماء تصريحاً أو تلويحاً أن من القراءات ما ليس نازلاً من عند الله بل له منشأ بشري من خطأ الراوي أو قلة ضبطه أو غير ذلك.

تأثير الخط في نشأة بعض القراءات في كلمات بعض الأئمة

قبل الخوض في البحث تجدر الإشارة إلى أنه ليس المقصود من هذا العنوان أن القراءات كلها نشأت بسبب بساطة الخط وسذاجته وخلوه من النقط والشكل كما ادعاه بعض

٥٥ - أبو شامة المقدسي؛ المرشد الوجيز ص ١٧٦

٥٦ - هو أحد الأئمة الاثني عشر للشيععة الإمامية. قال ابن الجزري عنه: «محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وعرف ظاهره وخفيه، وردت عنه الرواية في حروف القرآن؛ ولد سنة ست وخمسين. عرض على أبيه زين العابدين و روى عنه وعن جابر و ابن عمر و ابن عباس وغيرهم؛ قرأ عليه ابنه جعفر و مُهران. روى عنه ابنه جعفر الصادق و الزهري و عمرو بن دينار و جماعة. و كان سيد بني هاشم علماً و فضلاً و سُنَّة. قال سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر عن أبي بكر و عمر، فقال: تَوَلَّيْتُهُمَا و ابرأ من عدوئهما فإخما كان إمامي هدى. و زُوِينَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا قُرَأَتْ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » فَقُلْ أَنْتَ: اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ؛ وَإِذَا قُرَأَتْ « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » فَقُلْ أَنْتَ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مات سنة ثمانى عشرة و مائة؛ وقيل: أربع؛ وقيل: خمس؛ وقيل: سنة عشر.» (غاية النهاية ج ٣ ص ١١٩٥). و قد أخذ عنه كثيرون و اثنى عليه اصحاب التراجم (انظر: حيدر، ١/٤٣٥ فما بعدها) و قد عُدَّ من شيوخ الامام ابي حنيفة (وفاريشي ص ٢٢٢، نقلاً عن مناقب ابي حنيفة للمكي ص ٤٨ و مناقب ابي حنيفة للكردى ص ٨٠ - ٩٧ و تبين الصحيفة بمناقب ابي حنيفة للسيوطي ص ٦٤ - ٦٧) و شيبه بن نصاح القارئ (حيدر، ج ١، ص ٤٤٥ نقلاً عن التقريب لابن حجر ج ١، ص ٢٥٧/٤٤٥) الذي كان من شيوخ نافع المدني (ابن القاصح البغدادي، ص ٩). و قد وقع في إسناد حمزة؛ حيث قال ابن قاصح: «قرأ [حمزة] على جعفر الصادق، على أبيه محمد الباقر، على أبيه زين العابدين، على أبيه الحسين، على أبيه علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم» (سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي ص ١٦).

٥٧ - الكليني، محمد بن يعقوب؛ الكافي؛ ج ٢، ص ٢٣٠

المستشرقين وتابعيهم من المسلمين بل المقصود أن بعض القراءات نشأت بهذا السبب؛ على طريقة الموجبة الجزئية في مقابل السلب الكلي على حد تعبير المناطق.

ومن العوامل التي ادّعي تأثيره في نشوء بعض المواضع من القراءات الخط والرسم. وقد تبني هذا الرأي جماعة من المستشرقين مثل جولدزيهر وتبعهم بعض السلمين وفنّده جماعة أخرى من علماء المسلمين دفاعاً عن قدسية القرآن الكريم. ونحن نذكر هنا - كمثال - ما قاله الدكتور اسماعيل شلي والدكتور عبد الصبور شاهين:

أما الدكتور شلي فقد قال وهو يهاجم جولدزيهر:

«... يقرر [أي جولدزيهر] في كتابه «المذاهب الإسلامية» [ص ٤] أن القراءات ترجع في معظمها إلى أن الخط العربي كان عُفلاً من النقط و الحركات، و أرجو أن أدفع ما رمى به عقيدة المسلمين في كتابهم المحفوظ إلى يوم الدين، ذلك أنه قال ما ترجمته: «و القسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي؛ فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة؛ تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، و فقدان الشكل في الخط العربي، يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات و الشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطة أو شكله من القرآن».^{٥٨}

وأما الدكتور عبد الصبور شاهين نفى دور الخط والرسم في نشوء القراءات قائلاً:

«ومع ذلك فالرسم ليس إلا مقياساً وقائياً، يمنع ما لا يدخل في نطاقه، مما صح من الروايات، فهو يعد المصفاة الأولى التي تمر بها الحروف، فالرسم لا ينشئ القراءة، ولكنه يحكم عليها»^{٥٩}.

هذا؛ ولكن قد جاء في بعض المصادر ما يستفاد منه تأثير الخط في نشوء بعض القراءات في الجملة. ومما يدل على هذا - على سبيل المثال لا الحصر - ما يلي:

٥٨ - شلي، عبد الفتاح؛ رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم؛ دوافعها ودفعها ص ٢٩

٥٩ - شاهين، عبد الصبور؛ تاريخ القرآن ص ٢١٠

١- قرأ ابن عامر: وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (الأنعام: ١٣٧) برفع «قتل» و نصب «أولاد» و خفض «شركائهم». وقرأ الباقر: وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم بنصب «قتل» و خفض «أولاد» و رفع شركائهم^{٦٠}. قال ابن خالويه (م ٣٧٠هـ) في قراءة ابن عامر: وهو قبيح في القرآن ... وإنما حمل القارئ بهذا عليه أنه وجده في مصاحف أهل الشام بالياء فاتبع الخط.

قال الزمخشري (م ٥٣٨هـ) في هذه القراءة:

و أما قراءة ابن عامر: قتل أولادهم شركائهم برفع القتل و نصب الأولاد و جرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، و الفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات و هو الشعر، لكان سمجاً مردوداً ... فكيف به في الكلام المنشور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه و جزالته. و الذي حمّله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء^{٦١}.

وقال ابن الجزري في موضع آخر: «قال ابن ذكوان: «شركائهم» بياء ثابتة في الكتاب و القراءة قال و أخبرني أيوب يعني ابن تميم شيخه قال قرأت على أبي عبد الملك قاضي الجند «زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ» قال أيوب فقلت له إن في مصحفى و كان قديماً «شركائهم» فمحي أبو عبد الملك الياء و جعل مكان الياء واوا قال أيوب ثم قرأت على يحيى بن الحارث «شُرَكَائِهِمْ» فردّ عليّ يحيى «شركائهم» فقلت له إنه كان في مصحفى بالياء فحكّت [كذا] و جعلت واوا فقال يحيى أنت رجل محوت الصواب و كتبت الخطأ فرددتها في المصحف على الأمر الأول^{٦٢}.



Berlin, Staatsbibliothek: Wetzstein II 1913 (Ahlwardt 305)

٦٠. انظر البدور الزاهرة.

٦١. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ج٢، ص ٧٠

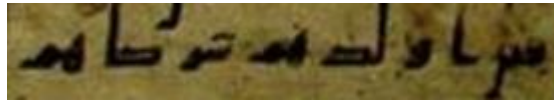
٦٢. ابن الجزرى، النشر في القراءات العشر ج٢، ص ٢٦٥



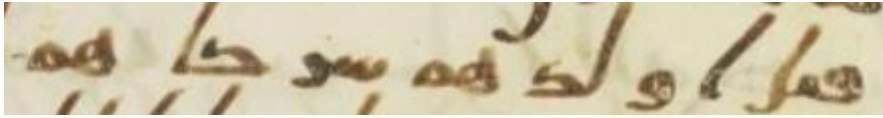
Birmingham, Cadbury Research Library (University of Birmingham): Islamic Arabic 1572



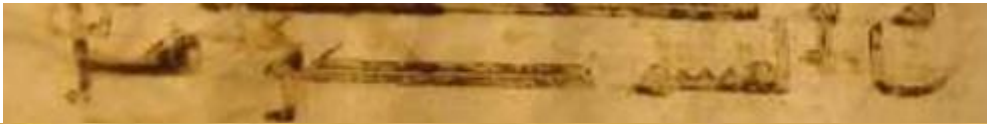
Gotthelf-Bergsträßer-Archiv: "Saray Medina 1a" (= Istanbul, Topkapı Sarayı Müzesi: M 1)



Sanaa, Dār al-Maḥṭūṭāt: DAM 01-21.3



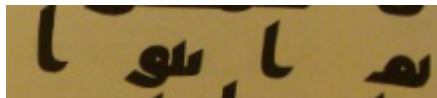
Paris, Bibliothèque nationale de France: Arabe 328 (a)



Kairo, al-Maktaba al-Markaziyya li-l-Maḥṭūṭāt al-Islāmiyya: Großer Korankodex

تجدد الإشارة إلى أن ابن ذكوان قرأ على أيوب بن تميم وقرأ أيوب على يحيى بن الحارث وقرأ يحيى على ابن عامر.^{٦٣}

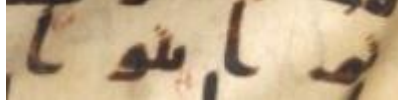
٢. قال ابن مجاهد (م ٣٢٤هـ) في قوله تعالى «ثم اتنوا صفا» (طه: ٦٤): «روى القطعي عن عبيد عن شبل عن ابن كثير: ثم «اتنوا» بفتح الميم من «ثم» ثم يأتي بياء بعدها ساكنة... وإمّا أراد ابن كثير أن يتبع الكتاب فلفظ بالياء بعد فتحة الميم التي خلفت الهمزة».^{٦٤}



Berlin, Staatsbibliothek: Kodex Samarkand (Faksimiledruck Sankt Petersburg 1905)

٦٣. انظر سراج القارئ المبتدئ ص ١١.

٦٤. ابن مجاهد؛ السبعة في القراءات ص ٤٢٠.



Berlin, Staatsbibliothek: Wetzstein II 1913 (Ahlwardt 305)



Gotthelf-Bergsträßer-Archiv: "Saray Medina 1a" (= Istanbul, Topkapı Sarayı Müzesi: M 1)

.....

٣- قرأ ابن كثير و أبو عمرو و الكسائي من السبعة و رويس من العشرة «وما هو على الغيب بضنين» (التكوير: ٢٤) «بضنين» بالطاء والباقون «بضنين» بالضاد.^{٦٥}

قال السخاوي (م ٦٤٣هـ) في الوسيلة:

«وقد قال أبو عبيد (م ٢٢٤هـ) رحمه الله في كتابه: قراءة الطاء هي التي تُختار لأنهم لم يُخلوه فيحتاج إلى أن ينفي عنه البخل؛ إنما كان المشركون يكذبونه فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه ليس بمتهم على الغيب. ثم قال بعد ذلك: مع أن هذا يعني الطاء ليس بخلاف الكتاب لأن الطاء والضاد لا يختلف خطهما في المصاحف إلا بزيادة رأس إحداهما على رأس الأخرى. فهذا قد يتشابه في خط المصاحف ويتداني.

وصدق أبو عبيد رحمه الله فإن الخط القديم على ما وُصف».^{٦٦}

قال الصفاقسي (م ١١١٨هـ): «و قال الجعبري لكن في الرسم الكوفي يرفع للضاد حُطَيْط يُشبهه خط الطاء».^{٦٧}

ونقل الشيخ سعيد محمد اللحام في كتابه «فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم» هذه العبارة هكذا: «لكن في الرسم الكوفي يرفع الضاد حُطَيْط يُشبهه خط الطاء ومن هنا جاء الإشكال».^{٦٨} بزيادة «ومن هنا جاء الإشكال» في آخرها.

٦٥ . انظر البدور الزاهرة.

٦٦ . السخاوي؛ الوسيلة إلى كشف العقيلة ص ٢٤٥.

٦٧ . الصفاقسي؛ غيث النفع في قوله تعالى: وما هو على الغيب بضنين (التكوير: ٢٤).

٦٨ . اللحام؛ سعيد محمد؛ فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم ص ٥٨٦.

٤- روى ابن مجاهد عن الكسائي أنه قال: «السين في الصرط أسير في كلام العرب ولكني أقرأ بالصاد أتبع الكتاب الكتاب بالصاد».^{٦٩}

٥- قال ابن غلبون عن اختلاف القراء في «الظنوننا» (الأحزاب: ١٠) و «الرسولا» (الأحزاب: ٦٦) و «السيلا» (الأحزاب: ٦٧): «و إنما أثبتها هؤلاء [نافع وابن عامر وأبو بكر] في الوصل اتباعا لخط المصحف؛ لأنها ثابتة فيه».^{٧٠}

وهناك أمثلة كثيرة لتأثير الرسم على كيفية الوقف؛ منها وقوف حمزة وهشام التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالرسم، وقاعدة الوقف على مرسوم الخط تندرج تحتها أمثلة متعددة لتأثير الخط والرسم على القراءة.

فيستفاد من كل ما سبق أن في رأي بعض العلماء أن قلة ضبط الرواة أو الخط والرسم، لهما تأثير على القراءات - في الجملة -.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هناك كلمات و أقوالا وآراء من بعض العلماء الأعلام من الأئمة القراء والمفسرين وغيرهم يستفاد منها أن هناك عوامل أخرى غير قلة ضبط الراوي والخط - كقواعد العربية والاجتهاد - قد أثرت في نشوء بعض القراءات في الجملة. واستيفاء البحث في كل واحد من هذه العوامل التي قيل بتأثيرها في القراءات يتطلب بحثا ومقالة على حدة. وهذا لا ينفي أن من القراءات ما هو نازل من عند الله قد قرأه جبريل الأمين على سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

٦٩ - ابن مجاهد، السبعة ص ١٠٧

٧٠ - ابن غلبون؛ التذكرة في القراءات الثمان ج ٢ ص ٥٠٠.

المصادر

١. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، حيدر، أسد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ/١٩٦٩م.
٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، بيروت، دار الفكر، ١٤١٣هـ.
٣. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، القاضي، عبد الفتاح، تحقيق: أسامة هيثم عطايا، دمشق، دار البيروتي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٤. تاريخ القرآن، شاهين، عبد الصبور؛ القاهرة، نخضة مصر، ٢٠٠٥م.
٥. التبيان في إعراب القرآن، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٦. التذكرة في القراءات الثمان، ابن غلبون، أبي الحسين طاهر بن عبد المنعم، تحقيق: أيمن رشدي سويد، جمعية تحفيظ القرآن الكريم، ١٤١٢هـ.
٧. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
٨. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، محمد بن جرير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ق-١٩٩٥م.
٩. جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق: د. عبد الكريم الزبيدي، بيروت، دار البلاغة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، دمشق، دار القلم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١١. رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم؛ دوافعها ودفعها، شلبي، عبد الفتاح، جدة، دار الشروق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٢. سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي، ابن القاصح، علي بن عثمان، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
١٣. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، محمد بن محمد، تحقيق: جمال الدين محمد شرف و مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٩هـ.
١٤. غيث النفع في القراءات السبع، الصفاقسي، ولي الله علي النوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٥. فضائل القرآن، ابن سلام، ابو عبيد قاسم، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
١٦. فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم، اللحام؛ سعيد محمد، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٧. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، تحقيق: علي أكبر غفاري، الطبعة الرابعة، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧هـ.
١٨. كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ.
١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمر، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
٢٠. مجمع البيان لعلوم القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، طهران، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٢١. المذاهب الإسلامية الخمسة، "المذهب الحنفي"، وفاريسي، محمد، بيروت، الغدير، ١٤١٩هـ.
٢٢. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل، تحقيق: طيار آلي قولاج، بيروت، دار صادر، ١٣٩٥هـ.
٢٣. المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد، طهران، دار الهجرة، ١٤٢٥هـ.
٢٤. مناهل العرفان، الزرقاني، محمد عبد العظيم، تحقيق: فوز أحمد زملي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢٥. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد، تحقيق: علي محمد الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
٢٦. الوسيلة إلى كشف العقيلة، السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق: الدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.